



هدف خطة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، المعلن، باتجاه إقامة مناطق آمنة في بلدان الحروب و"بئر التوتر" في المنطقة هو إبقاء السكان المدنيين داخل أراضيهم أو في المناطق الحدودية مع دول الجوار، وقطع الطريق على عمليات اللجوء والهجرة غير الشرعية نحو الغرب. هو يقول إنه يريد حماية مصالح الطرفين على طريقة "لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم"، بمنطق تاجر الجملة الجالس فوق بضاعته ويساوم عليها.

وكان الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، قد طرح هذه المسألة، قبل ثلاث سنوات، على الرئيس الأميركي السابق، باراك أوباما، والمجتمع الدولي، بالأهداف نفسها التي ذكرها ترامب، لكنها لم تلق آذانا صاغية. وكان أردوغان، ومن خلال مشروع كهذا، يتطلع أيضاً إلى تعطيل خطط أكراد سوريا في الانفصال أولاً، وتشجيع أبناء عموتهم في جنوب شرق تركيا على إعلان كيانهم المستقل ثانياً.

ما رفضه السلف يقترحه الخلف في أقل من أسبوعين على تسلمه مهام الإدارة في البيت الأبيض. ويريد الرئيس الأميركي الجديد ربما توفير الحماية لهذه المنطقة الكردية، عبر حمايتها من خطر النظام السوري الذي لم نره كثيراً يشكل خطراً عليها، لكنه، في الحقيقة، يريد حمايتها من الأتراك والعرب، لتكون نواة التمدد والانتشار الكردي الجديد، وريثما يتم العثور على العاصمة التي تلقي بهذه الدولة، الرقة بدل القامشلي مثلاً، الحلم يستحق المغامرة.

عارض الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، دائماً الاقتراح التركي في سوريا، وهذه المرة هو متخوف من حصول تفاهم أميركي - تركي في هذا الخصوص، لكنه قد يبدل رأيه هو الآخر، لأنَّه يعرف تماماً أنَّ هناك فرصة كبيرة في أن تكون هذه المناطق مركز الدفع في مشروع خططه الإقليمية ودستوره السوري: سوريا بلا هوية قومية وعرقية ودينية، تجمعات سكانية في دوائر جغرافية تصغر وتكبر حسب المصالح والنفوذ، ريثما تجهز الدولة الكردية الكبرى في شقيها، التركي والإيراني. أكراد العراق وسوريا وتركيا في حالة غليان دائم. المشكلة هي على الجبهة الإيرانية. المواجهة العسكرية الأميركية الإيرانية

ضرورية وحتمية إذا لإكمال مخططٍ من هذا النوع. روسيا لن تدافع عن إيران إذا ما تأكدت من نوايا ترامب حيالها، ودول كثيرة في المنطقة ستربك للتخلص من النفوذ والتمدد والخطر الإيراني، إذا ما كان الرئيس الأميركي جاداً في تهدياته. تفتتت إيران يحقق أكثر من هدفٍ لأكثر من دولة، حتى ولو كان الثمن فتح الطريق هناك أيضاً أمام كيان كردي يظهر سريعاً إلى العلن، ويكمّل حلقة ناقصة في المشروع.

قد يعجب المخطط الإسرائيلي لأكثر من سبب، بشقه المتعلق في الجانب التركي من الحدود التركية السورية مثلاً، حيث مثلت جزيرة ابن عمر الغني بميادين نهرى دجلة والفرات (لماذا تذكرنا فجأة مشروع أمن إسرائيل المائي، وشعارها الديني التاريخي بين الفرات والنيل؟)، على الرغم من إعلان أنقرة تمسكها بإنجاز مهمة المضي، حتى النهاية، في عملية درع الفرات، وتطهير منطقة غرب النهر من التنظيمات الإرهابية، بعرض 95 كلم، تمتد من جرابلس شرقاً وحتى إعزاز غرباً، وبعمق يصل إلى 40 كلم، باتجاه الباب، وهي البقعة الجغرافية التي تطمح أنقرة إلى تحويلها منطقة آمنة في شمال سوريا، لكن متابعين كثيرين يرون أن على حكومة حزب العدالة والتنمية أن تراجع خططها وأهدافها هناك.

وكانَتْ أنقرة، وما زالت تقول، إن "المنطقة الآمنة" قد تكون خطوة مهمة على طريق الحل في سوريا، لكن التصور الأميركي الذي يروجه ترامب في موضوع المناطق الآمنة قد يدفعها إلى مراجعة مواقفها، وربما هذا ما دفع الرئيس أردوغان إلى تبديل رأيه، والتخلُّ عن المشاركة في معركة الرقة. وقد يكون إعلانه، قبل أيام، أن بلاده لن تتقدم في العمق السوري أكثر من ذلك بعد إنتهاء معركة الباب قد تكون رسالةً تركية إلى موسكو وواشنطن أيضاً. الخطر على تركيا بعد الآن هو أن تتحول المنطقة السورية الآمنة التي تريدها، وتدافع عنها، إلى مصيدةٍ تسقط هي فيها عندما تحول إلى مستنقعات عرقية ومذهبية، تحتاج إلى الحماية الدولية.

ما أعلنَه المتحدث باسم قوات سوريا الديمقراطية، مثلاً، إن قوات التحالف، بقيادة الولايات المتحدة التي تقاتل تنظيم الدولة الإسلامية، زوَّدت حلفاءها السوريين بمركبات مدرعة لأول مرة، ما يوسع الدعم منذ تنصيب دونالد ترامب. .. هل يندمج هذا السلاح الثقيل الذي اعترضت عليه تركيا دائماً، ويقدمه ترامب لصالح مسلم، في إطار خطط الحرب على "داعش"، أم سيفتح الطريق أمام الكيان الكردي في سوريا؟ من الذي سيوقف واشنطن وموسكو، إذا ما قررتا فجأةً أن جنوب شرق تركيا تحول إلى بقعةٍ تهدد أمن الإقليم بأكمله، وأن أنقرة، مثل غيرها من الدول المجاورة، حانَ أن تدفع الثمن، هي الأخرى، جغرافياً وعرقياً، وأن تتنازل عن خيار تقديم القليل، حتى لا تدفع الكثير إذا ما قررت التصلب والتشدد وتعطيل أي تفاهم من هذا النوع؟

سترصد أنظمة دول المنطقة وقياداتها التحركات الأميركية الجديدة التي تضع مسالitin أساسيتين فوق كل اعتبار، إسرائيل ومصالحها الإقليمية وورقة بحث عنها، وتستخدمها لتحقيق هذا الهدف.

تحريك ملف الدولة الكردية الكبرى بات يقترب أكثر فأكثر، وقد قال رئيس إقليم كردستان العراق، مسعود البرزاني، دائماً إن الحلم موجود، لكن الظروف الراهنة لا تساعد على ذلك. فهل اقترب موعد الفرصة التي لن تعوض لإعادة خلط الأوراق الإقليمية، بعد قرن على تفاهمات سايكس بيكو.

التاجر الأميركي ترامب في جانب، وهو يبحث عن شريك أو شركاء له في الجانب الآخر. والمساومة، في النهاية، قد تكون أميركية - روسية، إذا ما نجحت موسكو في التمسك بمشروع دستورها السوري الذي ستقبل به دول وقوى عديدة، لأنه الخيار الأقرب اليوم لفدرلة سوريا، والأنسب غالباً لإعلان الكونفدراليات الإقليمية، وهو مشروع إقليمي قديم جيد. ترامب في

السلطة لحقيبتين، مثلا، وعقد واحد يكفي لإنجاز المشروع الإسرائيلي الذي رفضه أوباما وإدارته.

يقول وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، إن موسكو مستعدة لدراسة تطبيق الفكرة "مع الشريك الأميركي". والإدارة الأميركية الجديدة تطرح هذه الفكرة بصيغة تختلف عن "الأفكار التي سبق أن طرحت، في المراحل الماضية الخاصة بإنشاء منصة معينة في الأراضي السورية لإنشاء حكومة بديلة واستخدامها منصة انطلاق لإسقاط الحكومة."

إذا لم تتوضّح سريعاً فكرة ترامب، وما تهدف إليه في موضوع المناطق الآمنة، فالسيناريوهات السوداوية هي التي ستتقدم إقليمياً، أين وكيف وعلى من ستطبق الخطة؟ أجواء التفاؤل التي حملها لنا ترامب في مسألة المناطق الآمنة تبدها مواقفه ورسائله التي يطلقها باتجاه عنصري تحريضي، فلماذا ثق بما يقول؟ قبول تركيا بالخطة الأميركيّة من دون حدوث التفاهم الأميركي الروسي سيُطبّع حتماً ما بنته في الأشهر القليلة الماضية، من منظومة علاقات استراتيجية جديدة مع موسكو. لكنها لا تريد أن يكون التفاهم الأميركي الروسي على حسابها. أقرّة في وضع لا تحسد عليه، إما أن تنجح في التقارب بين وجهتي النظر الأميركيّة والروسية في موضوع المناطق الآمنة، وتحمي مصالحها الإقليمية وعلاقتها بالدولتين، أو تخترّ بين أحد الشركيْن، الروسي والأميركي، وهي ستكون، في أحسن الأحوال، خاسرةً، حتى لو ربحت الكثيرون.

تركيا أمام حقيقة إعادة ترتيب أولوياتها في سوريا، الإرهاب أم المناطق الآمنة، أم الجمع بينهما مع أميركا، وكيف ستقنع موسكو بتحولها هذا؟

العربي الجديد

المصادر: